أهمية البيئة في التذوق الأدبي " القصص الأدبية النيجيرية نموذجًا"

د. يونس محمد جامع

قسم اللغة العربية والفرنسية . جامعة ولاية كوارا ـ مَلَيْتَيْ نيجيريا

yunusa.jamiu@kwasu.edu.ng/ basorunyunusa@gmail.com

المستخلص:

القصة أو الرواية فنٌّ أدبيٌّ مستحدثٌ نسبيًّا في الأدب العربي، لكنّ دوره المتشعب في المجتمع قد أكسبه شهرة وإقبالا منقطع النظير. ولم تكن عناية المثقّفين بثقافة عربية في نيجيريا موجّهة بجديّة إلى تناول القصة بدراسة فنيّة مستقلة إلا في فترة متأخرة، وذلك لأنّ الثقافة العربية تُكتسب أصلا –في نيجيريا– لتحصيل المعلومات الدينيّة الإسلاميّة. وإنّ دينامكية الأدب قد أفرض على الكتّاب النيجيريّين أن يشرعوا في المؤلفات النثرية من نوعية القصة والرواية، ولا يخفى أنّ مما حبّب القراء عامة والدارسين خاصة إلى تذوق هذا النوع الأدبي هو تصويره لبيئتهم أو ما يسمى بالجوّ الأدبيّ أو المجال الأدبيّ. هذا، ويسعى هذا البحث إذًا إلى عرض ومناقشة إسهامات الأدب العربي في تصدير المجتمع النيجيري إلى مكتسبي المعلومات في العالم، ويوضح أن البيئة هي المرقاة السريعة إلى التذوق الأدبي للقصص الفنيّة في اللغة العربية، إذ أنّ الأدب– شعره ونثره– طبق تتراءى من خلاله ما في أيّ مجتمع من خصوصيات إنسانية، يستخدم هذا البحث القالب القصصي لعرض مدى تجاوب الأعمال الإبداعية العربية مع البيئة النيجيرية تأثرا وتأثيرا. يشتمل البحث على مقدمة تلقي الضوء على أهمية البيئة في العمل الأدبي، والمحور الأول يتناول البيئة الأدبية في نيجيريا من القرن العشرين، والمحور الثاني يشمل المقارنة بين بيئة أجنبية وبيئة محليّة، والمحور الثالث عرض ودراسة لنماذج من بعض القصص العربية النيجيرية، والمحور الرابع يعرض الدراسة لأهمية الحوار في تطوير النصوص المختارة وإبراز مهمة البيئة، ثم تأتي الخاتمة التي تحتوى على ملحوظات واقتراحات.

الكلمات الرئيسة: البيئة، التذوق الأدبي، القصص، الأدب، نيجيريا

Abstract:

The Importance of Setting in Literary Appreciation

Novel is, relatively, a new genre in Arabic literature but its multiple roles in depicting any given society have earned it an unparalleled popularity. Despite the popularity, the attention of Nigerian scholars of Arabic literature was not focused on novel and story writing as an independent literary genre until very recently; the reason being that Arabic knowledge is essentially being acquired for religious purposes. The dynamism of literature has, however, made inroads into the consciousness of Nigerian writers in Arabic to venture into authorship of novels and other forms of the prosaic genre. The reason for this development is the reality of how novel and other prosaic subgenres effectively depict the society. The readers derive a great deal of pleasure and love in reading novels in Arabic because they come across happenings in their environment or what is called *social milieu*. This paper, therefore, intends to present efforts of Arabic literature in projecting the Nigerian society to readers of Arabic globally and to establish that relativity of *setting* is an important ingredient in literary appreciation of any genre. Arabic literature of Nigeria authorship adequately fulfils the obligation of literature being a medium that showcases the contextual attributes of any society. Consequently, this paper uses the novel to highlight the importance of *setting* in creative writing in Arabic towards better appreciation of Nigeria literary works in Arabic. The paper comprises an introduction which explains the importance of *setting* in works of literature; chapter one, which discusses the *setting* of Arabic literature in the twentieth century; chapter two, which compares foreign and local *settings*; chapter three, which presents samples of some Nigerian Arabic novels; chapter four, which discusses literary styles in the selected works; and the conclusion.

مقدمة

البيئة الأدبية هي حقيقة العمل الإبداعي الزمانية والمكانية[١] وهي مرادفة للجو أو المجال العام في المصطلح الأدبي، ويعني جميع ما يُفهَم من خلاله الشخصيات وأخلاقهم وأساليبهم في الحياة. فأي عمل أدبي، في أيّ إطار، صورة مصغرة للبيئة التي منها نشأ، وكل ما فيه من الأحداث والشخصيات وغيرها مستوحات من المجتمع وهو بالتالي يعكس قضايا تمس المجتمع في بؤرة أفكار الكاتب أو المنشئ للعمل الأدبي. وأهمية الجو الأدبي تكمن في أن التذوق الأدبي للإنتاج الإبداعي من أي نوع تتوقف إلى حدٍ على فهم البيئة الزمانية والمكانية التي منها نشأ. والتذوق الأدبي يُعَرّف "بأنه حالة من السعادة البليغة التي تتولد لدى الشخص بعد القراءة بسبب فهمه للنص أو وصوله للنقطة التي أراد الكاتب أن يوصلها له بما كتب،..."[٢] وتتوقف أهمية البيئة على أنّها "من العناصر المؤثرة تأثيرا كبيرا على طبيعة وأحداث الرواية أو العمل الأدبي عموما... الذي يخلق الفن ويتبلور في أجوائها وهو لا يقلّ أهمية من...غيرها من العناصر"[٣] والبيئة الأدبية في نيجيريا عبارة عن الخلفية الدينية المألوفة التي بها انتشرت الدراسات العربية ولأجلها يُقبلون على كل نصّ عربيّ وفي إطارها ينال أي كتابة عربية قبولا. والقصة إنما هي "...التعبير عن الحياة. الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن،..." [٤] يستخدم هذا البحث المنهجين الوصفي والتحليلي لأهميتهما في الدراسة الأدبية الإنسانية. اعتمدت المقالة هذا المنهج لأنه أليق لاستكشاف مشكلة البحث التي هي القصور في تذوق القصص الأدبية من قبل المثقّفين ثقافة عربية في نيجيريا، ولأنّ المنهج أنسب لدراسة القضايا الاجتماعية الحية كما نبه إلى ذلك كوثري[٥].

---

[١] **نجم، يوسف، فن القصة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م، ص:١٠٨**

[٢] **أيمان ، خشاشنه، العوامل المؤثرة في التذوق الأدبي، ١٩/٠١/٢٠٢٤ mawood.com, retrieved**

[٣] **نهضة الشريفي، البيئـــة وأثرها في الرواية،/٢٠٢٠/٠٢/eshraqatquraania.com**

[٤] **قطب، سيد، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، مصر، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الشرعية العاشرة، ٢٠١٠، ص: ٨٦**

[٥] **Kothari, C.R. Research Methodology, New Delhi, India, New Age International(P) Limited, Second Revised Edition, ٢٠٠٤, P.١٥-١٦**

إنّ المشكلة التي تسعى هذه المقالة نحو حلّها هى قلةُ إقبال المثقّفين ثقافة عربية على قراءة القصص الأدبيّة لما يعتقدون خطأ من أنه لا ربط بين القصص وخلفيتهم الدينية، ثم النظر إلى مدى مناسبة القصص للقضايا الاجتماعية. هذا وتجيب المقالة عن التساؤلات التي منها: ما المقصود بالتذوق الأدبي؟ ما البيئة الأدبية العربية في نيجيريا؟ ما أهمية تطوير القصص العربية للقراء النيجيريين؟ ما الإسهامات التي تسديها البيئة في تذوق القصص الأدبية؟ ما مدى نجاح الكتاب النيجيريين في قصصهم الأدبية؟

المحور الأول: البيئة الأدبية في نيجيريا من القرن العشرين

إن البيئة التي عهدها دارسوا اللغة العربية من أقدم زمن نزوحها إلى نيجيريا بيئةٌ دينيةٌ بحت، وجميع المواد التي يتلقاها المتعلّمون تتحلق حول ما يلائق التعاليم الدينية الإسلاميّة. وقد نالت العربية الرواج والفشو في الاستعمال خصوصا في شمال نيجيريا والقطر اليوربوي في القرن التاسع عشر حتى جعل العلماء يُقبلون على تسخير النثر العربي لا في الدواوين الرسمية فحسب بل حتى في المجال الفني من المراسلة والأشغال الثقافية[1] ويتّضح من هذا أنّ البيئة السائدة للأدب العربي بيئة دينية إسلامية، ولا يعني ذلك أنهم لا يهتمون بالقصة كفنّ ولكنّها بالنسبة لهم خاصية تُستخدَم لإيضاح الدروس الإسلامية كما يتضمنها القرآن والأحاديث النبويّة. إن هذه العقلية الدينية ساعدت على الاهتمام بالقصة حتى قد ألف بعض العلماء كتبا نوهوا فيها أهمية القصة في توعية القراء توعية دعوية وتشويق شعورهم في متابعتها كوسيلة توضيحية، ومن ضمنهم آدم عبد الله الإلوري.[2]

قد تطوّر الجوّ الأدبي النيجيري تطورا ملموسا، وأخذ النمو الإبداعي يزداد ويتبلور لأسباب لا تخفى على كلّ ناظر مدقق، وخاصة في الحقبة الزمانية من عام ٢٠٠٠م التي

[1] **أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، كانو، نيجيريا، دار الأمة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص: ٣٦٥-٣٦٦**

[2] **الإلوري، آدم عبد الله، تاريخ الدعوة الإسلامية، لاغوس، نيجيريا، مكتبة دار النور، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م، ص: ٢٠١**

سماها زكريا حسين بعصر الازدهار.[1] وبهذا التطور والانفتاح الذي به تحرر دارسوا العربية من الحيز الضيّق الذي يحجز أدوار الدروس العربية في بوتقة الدين لا غير ونظرا لمؤثرات ساعدت على توسيع النشاطات الأدبية مما فيها الإقبال على التأليف الإبداعي في الشعر والنثر، ومشاركات الدارسين بالدول العربية، ويضاف إلى ذلك حركات الجامعات النيجيرية التي توفّر المعلومات المعاصرة للمتعلّمين تبعا للتطورات الحديثة في المجال الأدبي الذي يستخدم الأدب أداة للتوعية الاجتماعية، اتّخذ الكتّاب المبدعون يؤلفون القصص باللغة العربية يعالجون فيها القضايا الاجتماعية. وبما أنّ القصة أو الرواية من الفنون المستحدثة[2] لم يبلغ نمو هذا الفن مستوى النضوج إلا في هذه الحقبة الازدهارية، وهي فن تلعب البيئة في تذوقه دورا مهما. وأما وقد بلغت الظروف البيئية ما هي اليوم فإنّ "...ملايين من المواطنين النيجيريين الذين تثقفوا ثقافة عربية–لا غير–يسرّهم أن يقرأوا رواية نيجيرية تتناول قضايا وطنية مختلفة أو رواية تدرس تجربة شخصية معيّنة."[3]

البيئة الأدبيّة النيجيرية إذن هي التراث الإسلاميّ الذي عليه انبنت الثقافة العربية، أما وقد تحسنت الظروف وأصبحت تساير الثقافة العالمية في جميع المجال فلا بدا من أن يعكس العمل الأدبي تراثا ألفها القراء لإثارة تذوقهم ويكون ذلك ميسورا إن ارتدى حلة البيئة المألوفة. استجاب الكتّاب النيجيريون إلى متطلبات المجتمع وأنشؤوا يخرجون مؤلفات قصصيّة تعكس – إضافة إلى خلفيتهم الإسلامية – ما يجري في بيئاتهم، ويكون تلاؤم مضمون قصصهم مع البيئة مما يشجع ويجيد التذوق. وفي السطور التالية بعض خصائص تقرّب الجوّ الأدبي إلى القراء وتهيّج التذوق.

---

[1] **حسين، زكريا أوبو، تحديد عصور الأدب العربي في نيجيريا، من مظاهر اللغة العربية وآدابها في نيجيريا،,Minna, Nigeria, Barocer Prints, First Edition ٢٠١٠م، ص:١١**

[2] **ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة، د.ت.، ص:٢٠٣–٢٠٤**

[3] **بدماصي، مرتضى، فاعلية اللغة العربية في نيجيريا، إِجَيْبُو أَوْدَيْ، نيجيريا، مطبعة شَيْبِأَوْتِيمَا، ٢٠١٤م، ص: ٥٩**

المحور الثاني: بين البيئة الأجنبيّة والبيئة المحليّة

مهمة البيئة في العمل الأدبي مهمة كبرى، ومتى ما تكون قريبة إلى خلفية القراء يكون التذوق سهلا وميسورا، ومما يثبط الشوق في قراءة القصة من بدايتها إلى النهاية بشغف هو أن يكون مضمونها غريبا لبيئتهم المألوفة وهذا مفتقد في معظم القصص المتداولة بين دارسي اللغة العربية في نيجيريا لأنّها تصور في طيّاتها أحداث لم يألفوها على الأكثر وتعرض خصائص مجتمع إنشائها بتفاصيل تخفى على القراء في نيجيريا. ولاسترعاء انتباه القراء إلى الفنّ القصصي لا بد من صياغته صياغة تناسب خلفيتهم، وفي السطور التالية عرض لبعض مميزات بيئيّة تساعد على سرعة التذوق.

الألفة الخَلفيّة

تتجلى هذه الخاصية إذا قارنا بين ما يصادفه القراء النيجيريون في قصص مستوردة وقصص ألفها الأدباء المواطنون بهذه اللغة. يقول نجيب محفوظ في رواية له:

> تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، وأنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري. أي قاهرة أعني؟ .. الفاطمية؟ .. الممالك؟ السلاطين؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار، ولكنه على أية حال أثر، وأثر نفيس. كيف لا وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصنادقية، تلك العطفة التاريخية، وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تزدان جدرانها بتهاويل الأرابيسك، هذا إلى قدم باد، وتهدم وتخلخل، وروائج قوية من طب الزمان القديم الذي صار مع كرور الزمن عطارة اليوم والغد...! [1]

إنّ ألفة الجوّ الذي هو محور القصة مهمة جدا في تشوّق القارئ لمتابعة السرد الروائي أو القصصي من أوله إلى آخره، ومتى ما كان الجوّ أجنبيا يعاني القارئ نوعا من الصعوبة في فهم العمل وتنقص متعته بما يقرأ. والمقطوعة التي أعلاه مع وصفه الشفاف الذي أكسب

[1] **نجيب محفوظ، زقاق المدق، مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى،٢٠٠٦، ص:٥**

العرض جمالا ورونقا وساعد على الإدراك التام للمكان الموصوف إلا أن قارئ الأدب المكتوب بالعربية في نيجيريا يجد صعوبة تشكلها أجنبية البيئة المصوّرة. ومما يشكل الغموض ويثبط قارئا نيجيريا من متعة تامة لما يقرأ أنه قد لا يفهم بسهولة أن "زقاق المدق" اسم مكان، ثم إن هناك إشارات إلى أوصاف تاريخية خاصة بجو الرواية مثل "الفاطمية" و"الممالك" و"السلاطين" التي تتطلب ذكريات ماضية لربط العرض كما أنّ هناك في النص ما يعكس عادة غريبة له ألا وهي عادة ارتياد المقاهي التي ينص عليها "قهوة كرشة". ومتى ما قرب الجوّ الأدبي إلى خلفية القارئ سهُل عليه فهم المضمون ويتابع العمل الابداعي بنهم وشغف.

إنّ العرقلة الحائلة دون التذوق الصحيح للنص الأدبي النثري مثل ما ذُكِر في المقطوعة المعروضة أعلاه قد لا توجد في النص التالي لأنّ البيئة التي يعرضها بيئةٌ وطنيةٌ نيجيريةٌ. يقول حامد محمود إبراهيم الهجري :

> إنها هي قرية جميلة هادئة مطمئنّة يأتيها رزقها رغدا من الزراعة، والحدادة والقسط اليسير من التجارة المألوفة في أرجائها، تبعد المدينة عنها بحوالي خمسين كيلومترا، ويمتاز سكّانها بدماثة خلق، وسذاجة طبيعة، وبداعة طراز، كانت أرضها خصبةً ولودا، تقضي أكثر فصولها الأربعة في روعة الحقول وجودة البساتين، تجود عليهم بأنواع الأطعمة ألذّها، وتمدّهم بثمرات طيّبة ئؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويتمتعون بالأرز الطبيعي والفول السوداني والفاصوليا الأفريقية والذرة والقمح والشعير وأنواع الفواكه والخضروات. [1]

القرية التي يعكسها الهجري قرية أفريقية نيجيرية، ويُشعر الوصفُ أيّ قارئ أنه–نسبيا– يقرأ عن نفسه لأنّ الجو مألوف له وهذه الألفة تشوقه وتشجعه على مواصلة القراءة ومتابعة القصة من أولها إلى نهايتها. ولا يعني هذا أن رواية نجيب لا تُقرأ وتُفهم لكنّها تكلّف القراء

[1] **حامد محمود إبراهيم الهجري، مأساة الحب، Ilorin, Nigeria, Kewudamiloa Publishing Centre, Firsr Edition, ٢٠١٣م، ص:٨**

النيجيريين مزيدا من العناء إذ تحوجهم على البحث عن بعض الحقائق ليتّضح مضمون الرواية على حقيقتها، وذلك خلاف القصة الثانية التي يكاد الجو أو البيئة فيها أن تكون مألوفة لمعظم القراء ولا يتعبون في فهم المضمون.

نسبية المضمون

ومما يثير شوق القراء هو أن يكون محور القصة مرآة لخبرة قريبة منه نسبية حتى يبدو له وكأنه يقرأ عن نفسه. ويكون ذلك إذا كان مضمون القصة وأحداثها غير بعيدة عن تجربته سواء ما اختبره فعلا أو عرف عنه خلال معلومات سابقة عن بيئته وما قد مرّت به من التطورات. وخير مثال لهذا هو ما حكاه يحيى الفلاني في قصته المعنونة **على الطريق** إذ يقول:

> في تلك الأيام–أيّام الحرب الأهليّة–كان رجال الحيّ يتجمّعون سامرين في كلّ مساء حول القناديل الخافت ضوؤها، وكانت الأحاديث تدور بينهم في خُفُوتٍ حول أخبار الحرب التي ينقلها إليهم المِذْيَاعُ بكرةً وأصيلًا.
>
> ولقد انقطع السّير على الشّارع بعد السّاعة السّادسة مساءً، لا ماشيا ولا راكبا، وانقطع كذلك التيّار الكَهْرَبَائِيُّ في المُدن والقرى، لا نور ولا ضياء، كلُّ شيءٍ بعد الغُرُوب يعيش في ظلام دامس. وكان النّاس يخافون في تلك الأيّام من إغارة قبائل "إِيبَوْ" بالطائرة النفّاثة على الأمكنة المُضِيئة في شمال البلاد وجنوبها.[1]

يسرد القصاص الخبرة الوطنية التي وقعت فعلا وهي حادثة الحرب الأهلية التي اندلعت في نيجيريا فيما بين ١٩٦٧م و١٩٧٠م. وطبيعي أن يثير مثل هذا السرد شوق القراء النيجيريّين ويسهل عليهم تذوق القصة تذوقا حسنا لأنّ جميع الأحداث التي تدور حولها القصة أحداث

[1] **الفلاني، آدم يحيى عبد الرحمن، على الطريق، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م، ص: ٨**

وطنية معروفة. هذا، وإن كانت الحرب الداخلية النيجيرية قد مضت إلا أنّ الناشئة الذين هم الأغلبية الساحقة من القراء حاليا وإنّه يروعهم أن يحصلوا على معلومات عنها لأنها من خلفية وطنية.

ومثال آخر للألفة الخلفية ما أورده مرتضى عبد السلام الحقيقي في قصته المعنونة **رحلة الزهراء** حيث يحكي ما كابدته الزهراء من التعصب الديني والاضطهاد الرسمي الذي يتجشمه المسلمون مرارا على أيدي المسيحيين في المستشفيات، وها هو يقول:

> وساعدهما على حمل الزهراء إلى مركز الطوارئ، وقام بالأمور اللازمة كي يهتم بها الأطباء، وليتهم يفعلون! لكنّهم بمجرّد أن رأوا أمارات الإسلام فيهم تجاهلوا حضورَهم وتمادوا في شأن آخر لا علاقة له بالوضع الراهن، بحجة أن الطبيب المسؤول غائب في الحال وليس هناك مخرج آخر إلّا الانتظار!!، إلى متى تنتظر هذه المسكينة التي بين الموت والحياة، أضنى جسمَها المرضُ وكاد يسحق روحَها الإغماءُ، ولم يبق في ذاكرة "رضا" إلّا كلمة مثيرة أطلقتها الزهراءُ بعد إفاقتها: "أليس أنّني لا بدّ ميّتة؟"[1]

والعرض أعلاه حادثة وقعت فعلا في ولاية بلاتو بنيجيريا وهو صورة لما يعانيه المسلمون على أيدي عمال المستشفيات متى ما ساقهم القدر إلى طلب العلاج لضر نزل بهم في جوّ هم الأقلون عددا. ومثل هذه الخبرة يعرفها كثير من القراء لأعمال فنيّة باللغة العربية في نيجيريا خارج الأدب ومصادفتهم لمثلها يهيّج تذوقهم للعمل الأدبي.

اللون المحلي

ومما يثير شوق القارئ في متابعة القصة من أولها إلى آخرها هو أن تشتمل على اللون المحلي الذي يشعر القراء أنّ ما يقرؤه ليس أجنبيّا عن بيئته الاجتماعية. وبما أنّ نيجيريا

[1] **الحقيقي، مرتضى بن عبد السلام، رحلة الزهراء، إلورن نيجيريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص:٣٠**

دولة يفوق فيها عدد المسلمين وقوي فيها عري الدين الإسلامي وإنه طبيعي بالتالي أن يتعدد ما يشكل اللون المحليّ في الأدب تُتّخذ من خلفيتهم الإسلامية لاسيما إذا العمل الأدبي من الطراز القصصي. يتشعب اللون المحلي في القصص المختارة ليشمل الصور والعادات القومية كما يشمل التعاليم الإسلامية. الصور القومية مهمة في التذوق لقراء القصص في نيجيريا لأنّ العربية ليست لغة الأم ولا اللغة الرسمية ولذا لا بد لأيّ أدب– في أيّ لغة–ينتجه الكتاب النيجيريون أن يتّسم بحمل العادات القومية. ثمّ إنّ "التعليم العربي في نيجيريا وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي غير الناطقة باللغة العربية لم يكن له لحدّ الآن هدف أساسي آخر غير خدمة تعليم الإسلام."[١]

ومهمة تحميل العمل الأدبي اللون المحلي هو ما أدى إلى الصراع بين الفصحى والعامية التي احتدمت حربها بين الأدباء في الدول العربية في القرن الماضي حتى انقسم كبار الكتاب إلى فريقين حتى وُجد مؤيدو استعمال العامية في الحوار الروائي والمقرّين على الفصحى كوسيلة تعبيرية وحيدة في مجال الأدب، وعلى هذا يقول مصطفى محرم "كثر الكلام فى هذه القضية، فكان هناك من يلتزمون ويلزمون بألا يحيد الكاتب عن اللغة العربية الفصحى، ويرى الفريق الآخر أن كتابة حوار الرواية وحوار المسرحية باللغة العامية تضفى على العمل الفنى الواقعية والفن الصادق"[٢] ويتّضح من هذا أنّ المنتزعين نحو العامية إنما ينحون منحاهم ذا بغية تكييف أعمال روائية تكييفا بيئيا يسهل التذوق. وإن كان مثل هذه التحديّات مفتقدة في البيئة الأدبية النيجيرية لأنّ الدارسين يكتسبون المعلومات ويتذوقون الانتاج الأدبي بواسطة الفصحى فقط لكن مع ذلك يوجد من ينفرون الدارسين من الإقبال على كتابة عربية خارج الحقائق الدينية لأنها خلفيتهم البيئية. أما وقد تطورت الثقافة وانفتحت الصدور وقد استرعى كتاب القصص في نيجيريا انتباه الناس إلى أهمية هذا النوع الأدبي في التوعية

[١] عبد الرزاق، علي أبولاجي، نحو تطوير التعليم العربي في نيجيريا، القاهرة، شمس للنشر والإعلام، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص: ٩

[٢] مصطفى محرم، طه حسين بين الفصحى والعامية
almasryalyoum.com, retrieved ٢٠/٠٢/٢٠٢٤

والارشاد ونجحوا في ذلك بتشحين قصصهم بشتى ألوان محلية تحبّب القصص إلى القراء من الخلفية الإسلامية والأمثال أو التصوير المحلي الذي ألفوه.

المحور الثالث:عرض ودراسة نماذج من بعض القصص العربية النيجيرية

يشكل النظر في احتواء الأدب العربي النيجيري على التعاليم الإسلامية فرعا جذريا في التذوق الممتع لأن الثقافة العربية في نيجيريا –كغيرها من الدول الإسلامية غير الناطقة بالعربية– ثقافة دينية إسلامية، وبتطورات الثقافة المعاصرة التي تتّجه اتّجاهات عالمية أصبحت الأدب العربي النيجيري يماشي التيار الجديد، وليس من الغريب أن يعرض هذه المستجدات في صورة تلائم البيئة الإسلامية التي هي النواة الخامة انبنت عليها التعاليم العربية. وليس هناك قالب أدبي يمثّل هذا الانصهار أكثر من قالب قصصي والكتاب يبرزون ذلك باقتباس من الآيات القرآنية وانتزاع صور إسلامية تناسب بيئة القراء وتشوقهم على التذوق والأنموذج التالية تظهر هذا الزعم.

انتقام لـ(حامد محمود إبراهيم الهجري)

تتمحور القصة عن رَوْنْكَيْ(Ronkẹ) وخطيبها تُنْدَيْ (Túndé) الذي خدعها بكلامه المعسول ووعود انكشفت كذبة حتى إن حياتها بدأت تتحطم في عينيها، يصف القاص ظروف هذه الفتاة قائلا: "...والأسوأ من هذا هو أن المعيشة ضنكى على جوّ هذه الأسرة الجديدة، إن قصر الأماني وعمارة الآمال التي يرسم لها الخطيب قبل أن ترضى بالسفر معه إلى هذه البقعة النائية عن قريتها، تتهاوى وتتلاشى أمام عينيها، والمشاعر والعواطف تتحطم في اعماق قلبها، وأدركت أن تلك الكلمة المعسولة التي تبني عليها هياكل مستقبله من فم تندي، ما هي إلا خيالات شاعر أو أحلام نائم، بل هي سراب بقيعة يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا،..."،[1] فالوصف الذي طبقه الكاتب على ظروف رونكي مأخوذ من سور قرآنية يعهدها القراء لأنّ بيئة ثقافتهم العربية بيئة إسلامية ويساعدهم هذا على التذوق ويُقبلون على القراءة بنهم حتى نهاية القصة.

[1] **الهجري، حامد محمود إبراهيم، انتقام، الدار البيضاء، المملكة المغربية، دارة نَجِيبَوِيْه المَعْرِفِيَّة، الطبعة الأولى ٢٠٢١م، ص: ١٧**

إدفع بالتي هي أحسن لـ(جميل عبد الله الكانوي)

وهي قصة غرامية تناقش التطورات الودية بين بشير ومخطوبته سارة وانتهت العلاقة بينهما بسبب الخيانة من قبل عليّ الذي هو صديق حميم لبشير وسارة التي لم تكافئ بشير بما يستحق من الأمانة وغرّها عذوبة كلام عليّ الخائن الذي انتهز فرصة بُعد بشير بإِبَادَنْ لخدمة الوطن وأكفأ إناء صديقه بإغراء سارة وانتزاعها لنفسه. لكنّ بشيرا لما رجع بعد خدمة الوطن واكتشف ما حالت إليه العلاقة بينه وسارة لم يقابل الظروف مقابلة عنيفة، أحرنته الظروف لكن لأنه يؤمن حقا بالقدر هوّن على نفسه وتوكل على الله. وبدلا من معاملة سارة وعلي معاملة سيّئة مدّ إليهما يد المساعدة التي أنقذهما بها من مأزقهما الاقتصادي. وهيمنة البيئة الإسلامية تتبدى في جميع طيات القصة ابتداء من العنوان الذي هو من آية قرآنية، وكذا تشبيه مشية سارة لما خرجت إلى بشير وعلي حيث يقول القاص: "خرجت سارة تمشي على استحياء"[1] ومثل ذلك قوله إثر وعد المحافظ على المواثيق والعهود، "والله على ما نقول وكيل!"[2] والكلام الأول اقتباس من قول إحدى ابتي نبيّ الله شعيب بعد أن سقى لهما نبيّ الله موسى أنعامهما وقصتا الحادثة لأبيهما وأوفد واحدة منهما لنداء موسى، أما القول الثاني فمقتبس مما قاله موسى عقب الاتفاق بينه وشعيب. وإن دلّ كل هذا على شيء وإنما يدّل على الأهمية التي تضفيها البيئة الإسلامية على تذوق أعمال أدبية من النوع القصصي في نيجيريا.

التصوير والأمثال المحليّة

ومن التصوّر البيئي الذي يشجع على التذوق الصحيح للقصص العربية النيجيرية هو تشحين القصص بتعابير محسنة تسعّر إحساسات القراء ويكون ذلك في الإتيان ببعض أمثال وتشبيهات محليّة قد عرفوها في لغاتهم الأصيلة، وفي السطور التالية نماذج من ذلك:

انتقام

يقول حامد الهجري في قصته المعنونة بـ(انتقام) "إنه الرجل الذي التقت به امرأة في نهيرة، وأخرجت صابونا لتشرف على استحمامه، ثم تقسم بحياتها على أنه إن لم يكن لها زوجا

[1] **الكانوي، جميل عبد الله، إدفع بالتي هي أحسن، كانو، نيجيريا، دار الأمة، د.ط.، د.ت.، ص:١٨**
[2] **نفسه، ص: ٢١؟**

فسيكون لها عشيقا"[1]. يستخدم هذا التصوير في عرض وصف رجل بلغ في الجمال الغاية حتى إنّ جماله وحسن هيئته يفتن النساء. وهذا تصوير متفاشي بين قبائل نيجيريا إلا أنّ يوربا التي منها الكاتب القاص أكثر استعمالا لهذا التصوير في وصف رجل مفرط في الجمال. ويقول في مكان آخر:"أقسمت بكل المقدسات فلن تكون رحلتك إلا كمثل رحلات الآلاف من الغبيات والبليدات مثلك إلى عالم اليقين والخلود، ولا نبكيك أكثر من بقية موتانا، وليكن من علمك أن من قتلت نفسها من أجل حب، لن يمهلها الحبيب أياما حتى يبحث عن حب آخر يمرغ ويتوسخ على قبرها!"[2] وهذا كلام تؤنب به أخت رونكي شقيقتها على عنادها في الإصرار على االبقاء مع تندي رغم الويلات التي يذيقها إياها ورونكي من دورها ترى أن حالها مع تندي وحبها له هو ما أفضى بها إلى مثل هذا التأيب إياها من قبل أختها، ولذا تقول: " أليست حادثات الدهر التي تركت الجدران أطلالا، هي التي مهدت الطريق للشاة حتى تقفز عليها في مرح ودعاة؟"[3]

التوجيه البيئي في ادفع بالتي هي أحسن

إنّ الكتاب النيجيريين في فنّ القصة حملوا على عاتقهم أن تحتوي أعمالهم على ما يقرّب قصصهم إلى القراء وهم لذلك يطرقون أحداثا تسهّل لهم التذوق. وبما أنّ الوقائع المتفاشية في تفكير الشبان ونظرهم إلى الحياة تعتمد على الأكثر على جعل الثقافة الغربيّة المستعمرة تسيطر على ميولهم حتى إنّهم لا يرون لتراثهم قيمة تستحق الامتثال في روتنيات حياتهم، ويحذر جميل عبد الله الكانوي من نبذ التراث الديني والوطني حيث يقول:

> أنتم شبان اليوم مغرورون بالحداثة، مخدوعون ببوارق الحضارة الغربية، مشدودون عليها شدًّا، يأسركم ألبابكم، ويفقدكم صوابكم، ويجعلكم تنبذون ما توارثتموه عن أجدادكم من القيم والأخلاق باسم التحررية، والتثقف والتقدّم، والذي تنسونه هو أنّ

[1] **حامد محمود إبراهيم الهجري، المرجع السابق، ص:٢٢**

[2] **نفسه، ص: ٣١**

[3] **نفسه، ص: ٣١**

الغرب أعرج أشل مفلوج، ثريّ غني في الجانب المادي، لكنه مفلس روحيا له حضارة قوامها خدمة الجسد والشهوات، فليت شباب اليوم أخذ من الغرب العلم وتركه وأخلاقه، انظروا كيف تلاشت الفضيلة من بين الجيل الصاعد، الأمانة والصدق وإجلال الكبار، كلها أصبحت مصطلحات يظنها الشباب من بقايا أساطير الأولين... ،[1]

المحور الرابع:دراسة الحوار وأهميتها في القصص العربيّة النيجيريّة

يتعرض هذا البحث للنظر في استعمال هؤلاء القصاصين الحوار لإظهار مدى رسوخ الوعي الإسلامي في المجتمع وكيف أن القصاصين يستغلون عرض البيئة المألوفة لإثارة تشويق أعمالهم إلى القراء وجعل قصصهم أو رواياتهم ناجحة. وإنما يقتصر النظر على الحوار لأهميته في إبراز أفكار الكاتب في عمل إبداعي نثريّ ويتخلى به الكاتب عن التدخل في إجراء الحوادث لأنه يترك الشخصيات الروائية يتصرفون كما تكون الحال في الحياة الواقعيّة. ويعرّف الحوار بأنه"هو طريقة من طرق التواصل، وتبادل الحديث بين طرفين، أو عدة أطراف."[2] تقول رونكي لخطيبها عند ما رأته يتأهب للخروج ليلا:

- إلى أين في هذه الليلة أيضا؟
- إلى حيث تعودت أن أمشي في مثل هذا اليوم في كل أسبوع.
- إلى البار؟
- ولم السؤال ما دمت تعرفين المكان؟
- ونشكو من عدم الطعام في البيت؟
- ومن قال لك إنني أدفع ثمن ما آكله هناك؟
- ومن الذي يتحمل تلك المسئولية؟ أصدقاء أم صديقات؟

[1] **الكانوي، جميل عبد الله ،إدفع بالتي هي أحسن، ص: ٢٤-٢٥**

[2] **Momin alramadan، الحوار وأثره في إنجاح الرواية،https://molhem.com retrieved ٠٧/٠٣/٢٠٢٤**

- تلك هي مشكلتك دائما تظنين أنني بصحبة المرأة.[1]

إنّ إجادة استعمال الكاتب للحوار في المحادثة أعلاه تشوّق القراء إلى متابعة السرد الروائي من أوله إلى آخره، وليس هذا فحسب بل إنها حادثة اجتماعية كثيرا ما يسمعها القراء من المتزوجين وهذا يثير ولعهم لقراءة القصة بأكملها. ومثل هذا يلاحظ في ما جرى بين غالي وبشير في حين يسلّم الرسالة من أخته نبيلة إلى صديقه كما تبدي ذلك المحادثة التالية:

- لم تتشوف هكذا، وأنت ما قرأت الرسالة بعد؟
- يا لك من مازح!
- الحقيقة أنك فزت بإعجاب من نبيلة منذ ذاك اليوم الذي عرجنا على بيتهم، لقد كنت أترقبها وهي تحدق فيك على غفلة منك، ألم تنتبه إلى تشييعها إيانا.[2]

إنّ الحوار هنا ينبئ إلى الظروف المحدقة ببطل القصة بشير الذي يعاني الخيانة من سارة التي نبذته لتتزوج من عليّ وها هو يجد حبا صادقا في مكان خدمة الوطن، وإنّ الحوار حقّا يأسر القراء إلى التشوف إلى استفراغ القراءة. وكذلك نرى كيف استخدم الفلاني في عرض خلفية طفولته وأترابه تحت مراقبة الآباء إذ يقول:

> وذات يوم انقلب أبي فجأةً، وسلك طريقة أخرى لا يخطر ببالنا قطّ في حياتنا. وها هو يلقي علينا سؤاله الغريب عندما التقيناه على طريق الدار بعد صلاة المغرب.
>
> - هل صليتم المغرب؟
> - نعم! صلّينا
> - ما هي السورة التي قرأها الإمام بعد الفاتحة في الركعة الأولى؟ فأجاب واحد منّا بجرْأةٍ وإقدامٍ: قرأ الإمام سورة الماعون.

[1] **حامد محمود إبراهيم الهجري، انتفام، ص: ٢١-٢٢**

[2] **الكانوي، جميل عبد الله ،إدفع بالتي هي أحسن، ص: ٣٩**

- وأنت ما هي السورة التي قرأها الإمام بعد الفاتحة في الركعة الثانية؟

قال صبيٌّ آخر: سورة الكوثر. هكذا كان يلقي سؤاله على كلّ صبيٍّ، وهكذا كانوا يجيبونه في الشّجاعة والاجتراء، والحق أنّ هؤلاء الصّبيان لم يصلّوا في ذلك اليوم ورَاء الإمام، لأنّي صليت مع الجماعة ولم أجد أحدا منهم في ذلك الوقت، ولقد رآني أبي قبل الصّلاة في فناء الدار، ورأيته كذلك ذاهبا إلى المسجدن فانضممتُ مسرعا إلى الجماعة خوفا من عقوبته، ولم أخذ هؤلاء يجيبونه الآن بما يُملي عليهم شياطينُ الكذب، نظر أبي إليّ وقال: ما ذا ترى أنتَ؟ قلت: قد كذبوا فيما يقولون، ...[1]

أهمية الحوار في السرد الروائي تكمن في أنّه يساعد في استبطان ما يأمل القاص إلى إبرازه للقراء وحالة الكاتب تحوجه إلى اصطناع الوسائل الفنيّة لتحقيق أمله وهذا ما استعمله القصاصون في القطع المعروضة. وكما أحسنوا استعمال هذا العنصر فقد أجادوا في غيره من من العناصر وأظهروا بذلك مميزات البيئة التي تشوّق القراء إلى التذوق الصحيح للقصص.

[1] **الفلاني، آدم يحيى عبد الرحمن، على الطريق، ص: ٢٩**

الخاتمة:

القصة الأدبية في الأدب العربي النيجيري مع حداثتها النسبية قد أصبحت تنال إقبالا من قبل القراء لما تتضمنه من حوادث تعرض بيئتهم التي يزيّن لهم النوع الأدبي ويشوّقهم على متابعة العمل بأكمله لأنهم يجدون المتعة فيما يقرأون. واللبنة التي استغلها الكتّاب لغرس محبّة القراء إلى الفنّ القصصي ساعدت على شهرتها وقبولها لأنّها تتّخذ بيئتهم الإسلاميّة حتى إنهم يرونها امتدادا للتعاليم الدّينيّة. وإنّ القصص من حيث المضمون يعكس الحوادث الاجتماعيّة التي ليست أجنبية لخلفية للقراء الأمر الذي يهيّج الشوق إلى التذوق السليم للأعمال القصصية.

هذا، ومن الملحوظ على القصص العربيّة النيجيريّة أنّها قصيرة الحجم على الأكثر مما يجعل المحور المناقش والمضامين المعروضة ضيّقة. ومعظم القصور التي تُعدّ على هذا القالب الأدبيّ قد يكون لحداثة عهد الكتّاب به. وأمّا كونهم يقرّبون الفنّ إلى القراء بواسطة البيئة الاجتماعيّة وإنّ الحال تتحسن وتتوطد عري القصة كفنّ أدبيّ.